

عاش عاشقاً ومناصراً للمرأة وللحب وخلد علاقته الخاصة بدمشق

مئوية الشاعر الكبير نزار قباني



وائل العدس

مرت أول من أمس الذكرى المئوية على ميلاد الشاعر السوري الكبير نزار قباني الذي نحتفل بميلاده دائماً بالتزامن مع الاحتفال بعيد الأم، وهي إحدى المصادفات الغريبة لأن نحتفل بميلاد شاعر المرأة في عيد كل امرأة وكل أم، لطالما اهتم قباني بمغازلة المرأة ووضعها في مكانة رفيعة ونكرها بأجمل الصفات وأعدب الأشعار.

واهتم الصحف العربية ووسائل الإعلام بالاحتفال بذكره لأنه لا يمثل حالة شعرية منفردة بل مثل جيلاً بأكمله أثر فيه بأشعاره الرومانسية والسياسية وكانت لقصائده البليغة المنظومة باللغة العربية أهمية كبيرة في رقي الأغنية العربية والنثوق العربي، فكان شاعراً لكل الأزمنة، ومازالت قصائده تغنى حتى الآن من ألع نجوم الغناء.

مع دمشق

يكاد شعر نزار قباني أن يكون كله عن دمشق، فالدمية السورية المحملة بعمق التاريخ، والموسومة بصمات حضارات عديدة تعاقبت عليها، هي دار نزار التي عبر عنها في مقال طويل مشهور بعنوان «دارنا الدمشقية». تلك الجنة الدمشقية لم تقصر معه وبإبدائه حباً، فسمى شارع في دمشق باسمه، ما جعله يعجز بجزء وفرح ليكشف عمق علاقته بذلك المكان.

حياته

ولد نزار في ٢١ آذار عام ١٩٢٣ لأسرة تهتم بالعلم والثقافة، وتشتغل بالتجارة ومنها أبو خليل القباني رائد المسرح الغنائي في سورية ومصر.

كان نزار الولد الثاني بين أربعة ذكور وبنت وكان أبوه توفيق قباني رجلاً كادحاً كما وصفه شاعرنا يعمل في صناعة الحلويات ولكنه انخرط بقوة في النضال ضد الاحتلال الفرنسي محولاً بيته مكاناً لعقد الاجتماعات المطلوبة بجلاء المستعمر فاعتقله أكثر من مرة ما جعل نزار يتعجب لإزواجية والده في صناعة الحلوى والثورة وجمعه الحلاوة والضراوة.

درس نزار في الكلية العلمية الوطنية حتى المرحلة الثانوية والتي لعبت دوراً رئيسياً في تشكيله الثقافي فقرأ الشعر العربي إلى جانب الفرنسي وتأثر بعمله الشاعر خليل مردم بك مؤلف التشيد العربي السوري والذي يدين في لواعبه محتفظاً بأجدية دمشق في صوته وأصابعه ونياحه، وشعرته الطافحة التي نثرت ورداً دمشقياً على أديم العالم العربي لسنوات طويلة.

شاعر المرأة

وقد كانت المرأة لنزار قصيدة العمر، أنشودة الوجود، وروح الحياة، الذي كان يرثشفه لتأخذه نشوة ما بعدها نشوة سرعان ما ينتبه بعدها وفي فمه كلمات ساهرة تقصص لها المشاعر، وتطرب لها الأحاسيس، فحفظ الناس قصائده، وتغنوا بها، وأهدواها إلى محبوبه.

نزار المحب للمرأة أما كانت أم محبوبه حاول رسم مدينة حب، باحثاً عن بلاد تسمح له بأن يجربس فعل الهوى، ككل العصفائر فوق الشجر، طالباً من حبيبته أن تكون جريئة وتختار الموت فوق صدره أو فوق فماتر أشعاره، ووصف نفسه بأنه مفوض بالشعر وأن عشيقته مفوضه بكلماته، وأنه ما دام يمتلك حبيبته فهو القيص، الذي لا يقطن من مهن الدنيا سوى الحب، طالباً من المرأة الشرقية أن تتور على شرق السبانيا والتكايا والبحور والتاريخ.

عاش عاشقاً ومناصراً للمرأة والحب، غرست الأحداث التي عاشها في حياته الشعر والحب في نفسه، فخلال طفولته اتحرت شقيقته، بعد أن أجبرها أهلها على الزواج من رجل لم تكن تحبه، ليصبح ذلك الحادث سلاخاً يفاوم به مع المرأة الشرقية كي تحقق ذاتها، فقللاً عن موت أخته: «صورة أختي وهي تموت من أجل الحب محفورة في لحمي».

الشعر الغنائي

لن نضيف شيئاً إن وصفناه بالمرسدة الشعرية والظاهرة الثقافية إذ نجح بحفر اسمه في الذاكرة الشعبية، لكن ماذا لو اتفلقنا إلى شعره الغنائي؟

لو نظرنا لشعره من هذه الناحية لوجدنا أنه الشاعر أكتب قصيدة لحسابي الخاص من دون أن أسحب أي

إسماعيل مروة

في الربيع تتفتح الأزهار ألف نوع ونوع، وترقب السماء لتكون هذه الأوقات وأوقات ميلاد للحب والخير، وتسررب أرواح بينها تولد كل لحظة من اللحظات، تولد الأرواح وتكبر، وتسير في مسارب الحياة، قد تنتش شيئاً ما، وقد لا تفعل، قد تطرق باب الذاكرة وقد لا تفعل، ولكن الربيع يبقى على الجود بزهره من كل لون ونوع، عيسى أن يكون منها ما هو ملكوت العطر الذي لا يزول أثره، وقبل مئة عام من اليوم كان الربيع مختلفاً، كان الربيع شامياً، والأزهار خاصة بسكب العطر والورد والحب، واجتمعت نسج الشام كلها والعبقرية لزهرة في أصيص للزريعة في حي القيمورية بدمشق، يستند إلى جدار شامي عتيق ومتمين، وكانت الزهرة الأبيي، تلك الزهرة العبقرية، فيها عطر كون، وفيها نبوءة ألف ألف شاعر، وفيها تحزن شجر الغوطة، وكان نزار قباني ترعاه أم المعتز، ويسقيه أبو المعتز، ويتزود من فروع بردى، فتارة يأخذ من على الحسين، وتارة يبكي كربلاء، وتارة يفاخر بأمية ويستجد بعيني معاوية، وفي كل وقت وحين، كان الوطن امرأة من نوع نادر، وكانت المرأة وطناً لروحها وعواطفه وشيطناته وأمانه.

الفتى الدمشقي

كانت ولادة سيد من سادة الشعر، وزهرة من ندى العطر، وكانت ولادة الفتى الدمشقي الذي اختزن الحب وحده من الياسمين والكميا والبحرة والتاريخ المغرق في القدم، ولادة الشاعر الذي لم



تستطع أن تحو أثره الأيام بعد مئة عام، ليكون النبي في الشعر الحديث والملمه الذي جاء ليُنحي فلسطين لا كما يفعل الآخرون، ويصلي في القدس كما يشتهي، ويعلم أنه صار في عمر مناسب، وأصبح عنده بذقية، من حارات دمشق العتيقة التي يوضع فيها العطر والبخور والتسامح والحب، من حارات دمشق القديمة التي انتهت على اعتبارها الفتى التي أرادت لها ألا تكون هي، منها خرج نزار قباني الطفل الرجول، الشاعر المتدفق، حمل وروته من الياسمين والكميا والبحرة والتاريخ المقدسة، وأضاء بشمعة كنيسة وصورة

نزار قباني.. مئة عام من الحب والثورة

أنا من طعنه في صدره والرقب في فكره المنخور مثل الخشبة

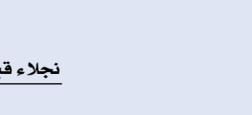
خمسون عاماً من الشعر، خمسون عاماً من المرأة وحبيها وهومها، أمضى نزار عمره من زينب إلى فاطمة وبلقيس ومايا، وفي كل حالة كانت المرأة عنده المثل والحب، رفعها إلى مراتب من الصعب أن يدركها أي نوع من التهميم، دخل في زواجب الحياة فأدبع، وكان له ما أراد.. أراد للشعر أن يكون رغباً ساخناً للجمهور، ولم تكن إرادته أقل من قدرته، أراد وفعل، ارتقى بالجمهور وجعله فصيحاً، وارتنق بالشعر فجعله حاجة ولغة تداول بين الناس، وحول الشعر إلى رأي عام، لم يؤسس حزباً، وكان حزياً وحده، تتداعى الأحزاب اليسارية واليمينية معاً لمواجهة خطر مشترك يدعما يمكن في (الخبز والحشيش والقمر) الخطر لا يميل إلا إلى الوعي المجتمعي الذي يربع الأحزاب العلمانية والدينية، التي من المفترض أن ترقى بنفسها وفكرها لتجاري ووعي الجمهور، ونزار قباني وحده الذي خاطب الوعي وحرصه ورفض (أن ينأم كالأنعام) (أن يبول كالأنعام) لذلك جهر وهم يستجوبونه (أنا من طعنه في صدره والرقبة- في فقره المنخور مثل الخشبة)؛ كان نزار خطراً على الفكر الإيديولوجي السلطوي، وبعد ثلاثة أرباع القرن يجد القارئ أن نزار كان نبياً شعرياً ومبشراً، ولو نهبنا للوعي أن يصحو على ما أطلقه، ما عدنا إلى اليوم كل هذه النساوات؛ لو استمعنا إلى وعيه وبحث له بما باحث، فحمل ثورته من أجلسها، وأقسم ألا يتوقف عن الدفاع عنها وعن حريتها وطهرها، ليقول في نهاياته (حملت المرأة خمسين عاماً لكنها تركتني وذهبت إلى الكواقر)؛ بلارة بدأ شعره وقضاياها وبها ختم، من (قاتل في السمراء) إلى (أنا رجل واحد وأنت قبيلة من النساء)

المحور مثل الخشبة)؛ كان نزار خطراً على الفكر الإيديولوجي السلطوي، وبعد ثلاثة أرباع القرن يجد القارئ أن نزار كان نبياً شعرياً ومبشراً، ولو نهبنا للوعي أن يصحو على ما أطلقه، ما عدنا إلى اليوم كل هذه النساوات؛ لو استمعنا إلى وعيه وبحث له بما باحث، فحمل ثورته من أجلسها، وأقسم ألا يتوقف عن الدفاع عنها وعن حريتها وطهرها، ليقول في نهاياته (حملت المرأة خمسين عاماً لكنها تركتني وذهبت إلى الكواقر)؛ بلارة بدأ شعره وقضاياها وبها ختم، من (قاتل في السمراء) إلى (أنا رجل واحد وأنت قبيلة من النساء)

قضايا المرأة

في الحب كان نبياً وراشداً في النقائص الدقيقة، أرشد المرأة إلى نفسها، ودفع

نجلاء قباني



تبدل قناعاتك وأفكارك بطريقة تفكيرك وتؤثر في محيكت الذي تقوده إلى ما تريد وقد تجد استحبابه لإفكارك وقد تستفيد منها على أرض الواقع في تغير يلزمك ويفرحك. عاطفياً: هذه الفترة تجعل أمورك العائلية جيدة جداً فقد تستقبل ضيوفاً من سفر أو لحظات سعيدة تعيشها.

الأمور الشخصية تسبب لك قلقاً وقد تشعر أن لا أحد ممن حولك يستطيع فهمك أو دعمك فأنت تتغل من المخاطر المالية والمهنية، حاول أن ترتب أمورك الشخصية. عاطفياً: تمر بأيام للشجارات والصدمات... فاحم نفسك من تصرف متسرع وواجه مشاكلك بهدوء المعتاد.

لاحظ أن أغلب المضايقات ستكون كلاً أكثر من الأفعال وقد تؤول مواعيد مالية وهذا قد يجعلك عصبياً ورجو أن أفعالك وفي أجوبتك الصريحة أو القاطعة كحد السيف. عاطفياً: أنت تميل إلى فرض آرائك والتحكم بشريك العاطفي وتحاول إعطاء الأوامر لن حولك فخفف من لهجتك العصبية.

المشكلة اليوم ستكون في عدم رضاك عما يحيط بك أو إحساسك الدائم أنك تعمل كثيراً دون أن يقدر عملك والتجاهل أنك لا تتاح حقدك فلا تفك نفسك وسبلاتك إضافية. عاطفياً: شهر للاترباط أو الأفرح فاستكمل مسيرة الأفرح لإبرارك لك قبل هذه الفترات.

برجك اليوم 03/22

	الرَّسْر	اليوم يحمل لك الرضا والأخبار الطيبة وحويوية كبيرة للإقبال على العمل والانفتاح على الناس والقيام بمبادرات قد ترتب على أساسها أمورك العملية.
	الرَّسْر	أنت تشع نوراً وقدرة على الإمساك بزمام الأمور والمبادرات للوصول إلى ما تتمنى فجوذ القمر في برجك يجعلك سعيداً منتهياً بجمالك وتفكت بنفسك ولا حظ للتغير في الانطباع الذي تعطيه للآخرين.
	الرَّسْر	عاطفياً: الأجواء مميزة حولك وأنت تكسب صداقات جديدة وتفرح لكل علاقاتك الإنسانية وتفرح بهالة من نور تحيط بك.
	الرَّسْر	أنت تقحم نفسك في معركة وحاول أن تلجأ للمفاوضات والمصالحات وتأكد مما تسمع فقد تعيش سوء نفاقهم مع المحيط أو يفسر الآخرون أقوالك وتصرفاتك بطريقة سلبية. عاطفياً: الأمور قد تحمل التعب وربما السب فتفكر بسفر فانت لا تحب البعد عن ممتلكاتك وقد يكون اشتغالك بالعلم.
	الرَّسْر	تعرف على أصدقاء في مناسبة مفرحة كولاية جديدة في حياتك أو ارتباط فانت تترك انطباعاً جيداً لدى كل محيطك وتكتشف عن مشاعرك الحقيقية جاعلاً منها واقعاً تعيشه وتسدع به.
	الرَّسْر	عاطفياً: أمورك العاطفية ضمن إطارها الجيد ولكن أمورك العائلية هي التي تعاني من المشاكل.
	الرَّسْر	حملك حالة من الشكوى أو عدم الرضا عنك من المسؤولين عن أعمالك أو من أهلك ولكن معظمهم ممنوعين من عملك كثيراً دون أن يقدر عملك والتجاهل أنك لا تتاح حقدك فلا تفك نفسك وسبلاتك إضافية.
	الرَّسْر	عاطفياً: قد تكون غيوراً أكثر من اللازم أو عصبياً وأنت غير راغب عن كل ما يحصل.